المشهد
العدد 347 – السنة الرابعة عشرة – الأحد 1 مارس 2026 م – 12 رمضان 1447 هـ

قالت العرب

"تُنسى كأنك لم تكن / تنسى كمصرع طائر / ككنيسة مهجورة تنسى
/ كحب عابر
/ وكوردة في الريح / وكوردة في الثلج / تنسى

الكشف عن مدينة سكنية من القرن 18 وجبانة قبطية أسفلها بموقع شيخ العرب همام بقنا

نجحت البعثة الأثرية المصرية – الفرنسية المشتركة فى الكشف عن أجزاء من مدينة سكنية مشيدة من الطوب اللبن تعود إلى القرن الثامن عشر الميلادي، خلال فترة حكم شيخ العرب همام، كما كشفت الحفائر عن امتداد لجبانة قبطية من العصر البيزنطى تقع أسفل المدينة المكتشفة

يأتى الكشف فى إطار أعمال الحفائر الأثرية بموقع شيخ العرب همام بقرية العركى بمحافظة قنا

الكشف عن مدينة سكنية بموقع شيخ العرب همام

من القطع المكتشفة

من موقع شيخ العرب همام

من الكشف الأثري

وأشاد شريف فتحي، وزير السياحة والآثار، بهذا التعاون المثمر بين الجانبين المصرى والفرنسي، مؤكداً أن المشروع يهدف إلى الكشف عن طبيعة الموقع وتاريخه والحفاظ عليه، تمهيداً لتأهيله وإدراجه على الخريطة السياحية للزيارة، لا سيما وأنه يقع فى موقع استراتيجى يتوسط المسافة بين دندرة وأبيدوس، بما يسهم فى تعزيز الحركة السياحية بالمنطقة

من جانبه، أكد الدكتور هشام الليثي، الأمين العام للمجلس الأعلى للآثار، أهمية هذا الكشف فى تعميق فهم طبيعة الحياة والنشاط البشرى فى صعيد مصر بصفة عامة، ومنطقة العركى بوجه خاص، نظراً لندرة المعلومات الواردة عنها فى المصادر التاريخية.

وأوضح الدكتور ضياء زهران، رئيس قطاع الآثار الإسلامية والقبطية واليهودية بالمجلس الأعلى للآثار، أن أعمال الحفائر أسفرت عن الكشف عن ستة منازل ملحقة بها مبانٍ خدمية، ويجاورها جزء من منطقة صناعية.

وتشير الدراسات الأولية إلى أن بعض هذه المنازل كان مغطى بقباب مشيدة من الطوب اللبن، بينما غُطيت أسقف المنازل الأخرى بجذوع النخيل. كما عثرت البعثة على آثار طلاء من الجير الأبيض ببعض الغرف، فيما لا تزال بقية أجزاء المدينة قيد الكشف.

وأضاف أن اللقى الأثرية المكتشفة تعكس ثراء الموقع وتنوع أنشطته، حيث شملت عملات برونزية، وقطعاً فخارية متنوعة، وألعاب أطفال، وحلياً، وقطعاً من النسيج، وغيرها من الأدلة الدالة على طبيعة الحياة اليومية بالموقع.

وفيما يتعلق بالجبانة القبطية المكتشفة، أوضح الدكتور أحمد الشوكي، رئيس البعثة وخبير الآثار الإسلامية بالمعهد الفرنسى للآثار الشرقية ووكيل كلية الآثار بجامعة عين شمس، أنه تم العثور على غطاء تابوت من الحجر الجيرى يعود إلى العصر البيزنطي، وقد استُخدم كأرضية أمام أحد مداخل المدينة المكتشفة، الأمر الذى أثار تساؤلات حول أسباب وجوده فى هذا الموضع. وعلى إثر ذلك، تم التعاون مع هيئة الاستشعار من بُعد وعلوم الفضاء لإجراء مسح جيوفيزيقى للموقع بواسطة فريق متخصص برئاسة الدكتور عبد العزيز الفضالي. وأسفرت نتائج المسح عن توجيه أعمال الحفر خلال الموسم الحالي، ليتم الكشف عن جزء من جبانة قبطية تقع أسفل المدينة السكنية.

وتضم الجبانة عدداً من الدفنات التى تعود إلى العصر البيزنطي، وتنقسم إلى نمطين؛ الأول يتمثل فى الدفن المباشر فى التربة، بينما يتميز النمط الثانى بتحديد منطقة الدفن بمداميك من الطوب اللبن. كما عُثر مع هذه الدفنات على عدد من القطع الفخارية، ولفائف كتانية، وأجزاء من "التونيك" المُعد للمتوفى والمنسوج بطريقة القباطي، ويزين العديد منها أشرطة زخرفية نباتية وهندسية وحيوانية، إضافة إلى أشكال الصليب وبعض الرموز والحروف باللغة القبطية. كما تم العثور على ختم نحاسى كان يُستخدم فى زخرفة الكعك.

وأكد الدكتور أحمد الشوكى أن هذه الاكتشافات تمثل إضافة علمية مهمة لدراسة أنماط الاستيطان والممارسات الجنائزية والأنشطة الصناعية فى صعيد مصر، كما تسهم فى تقديم رؤى جديدة حول طبيعة التركز السكانى والتطور الجغرافى للمنطقة منذ العصر البيزنطى وحتى العصر الإسلامي.

وأشار الأستاذ الدكتور بيير تاليه، مدير المعهد الفرنسى للآثار الشرقية، إلى أنه سيتم إجراء دراسات بيو- أثرية على الهياكل العظمية المكتشفة، بهدف تحديد النظام الغذائي، والعمر، والجنس، والحالة الصحية للأفراد المدفونين بالموقع، والبالغ عددهم نحو ٢٣ فرداً من الذكور والإناث والأطفال والمراهقين والبالغين، خاصة فى ضوء وجود آثار للتحنيط على بعضهم

كما أكد الأستاذ الدكتور عباس زواش، مدير الدراسات بالمعهد، حرص المعهد وبعثة شيخ العرب همام على تنظيم برامج تدريب ميدانى خلال كل موسم حفائر فى إطار تبادل الخبرات ونقل المعرفة. وقد شمل الموسم الحالى تدريب عدد من مفتشى ومرممى منطقة نجع حمادى على أعمال الحفر والتوثيق وترميم الطوب اللبن، إلى جانب أعمال صيانة المكتشفات وإدارة الموقع وتأمينه.

جدير بالذكر أن همام بن يوسف بن أحمد، الملقب بـ"شيخ العرب همام"، يُعد من أبرز شخصيات صعيد مصر فى القرن الثامن عشر. وُلد عام ١٧٠٩م فى فرشوط بمحافظة قنا، وتوفى عام ١٧٦٩م. وهو الابن الأكبر للشيخ يوسف زعيم قبائل الهوارة، وقد تولى الحكم بعد وفاة والده، ووسع نطاق سلطانه ليشمل أقاليم الصعيد من المنيا شمالاً حتى أسوان جنوباً. ويُسجل الموقع ضمن عداد الآثار الإسلامية والقبطية بوزارة السياحة والآثار.

تقرير: السيد جمال الدين وعادل عبدالحفيظ

قصائد للشاعر وليد الأسطل

الشاعر وليد الأسطل

من ديوان قيد النشر "فى الغياب نتعلم شكلنا الأخير"

١

أثرُ ما لم يثبتْ فى الهواء
لم يكن النسيانُ طريقًا مستقيمًا، ولا كانَ بابًا يُغلقُ خلفَ الخارجينَ منه
كانَ يشبهُ يدًا تتعلّمُ ارتجافَها فى العتمة، ثم تنسى كيفَ تُطفئُ ما أضاءتْهُ ذاتَ وجع
أمشى وكأنّ الأرضَ تجرّبُنى كلّ يوم باسم جديد،
وكأنّ جسدى استعارةٌ مؤجّلةٌ لشيءٍ لمْ يكتملْ فى اللغة بعد
لاَ شيء يثبتُ على يقينه
حتى الظلالُ تتأخرُ عن أجسادها،
حتى الخطى تعودُ لتسألَ عنَ معناها فى الرملِ ثم تمضي
يا أيّها القلبُ الذى يتخفّى كطفلٍ فى جيبِ قميصٍ واسع،
كم مرّةً صدّقتَ أنّك نجوتَ،
ثم اكتشفتَ أنّ النجاةَ كانتْ تمرينًا على سقوطٍ أكثرَ مهارة؟
ثمة أشياءُ تُغسَلُ ولا تخرجُ نظيفة،
وثمة ذاكرةٌ كلّما لُمستْ ازدادتْ اشتعالاً،
كأنّ النارَ لم تُخلقْ للإطفاء،
كأنّها اختبارٌ دائمٌ لجلدِ المَعنى لا لجلدِ الجسد.
أسمعُ فى داخلى ضجيجَ ما لم يحدثْ بعد،
وأرى ما حدثَ يمشى إلى الوراءِ كأنهُ يعتذرُ عن كونهِ حدثًا
كلُّ شيءٍ قابلٌ لإعادة التأويل:
الضحكةُ التى مرّتْ كعصفورٍ فوق نافذة ولم تُقمْ،
اليدُ التى لوّحتْ وظلّتْ معلّقةً بين احتمالَين من الفقد
يا ربَّ الطرقاتِ التى لا تُفضى إلى شيءٍ إلا إلى نفسها،
خذْ هذه الخطى التى تعلّمتِ التيهَ بإتقانٍ،
ودعْها تنسى أنّ لها وجهةً،
فإنّ الوصول شكلٌ آخرُ من الخسارة أحيانًا،
وأحيانًا أخرى يشبهُ أن تُغلقَ العينُ على ضوءٍ أكبرَ من قدرتها.
لم أعدْ أميّزُ بين ما يُقالُ فى الداخلِ وما يُسمعُ من الخارج،
كلُّ الأصوات تشبهُ صدًى لنداءٍ واحدٍ لم يُنطقْ بعد
حتى الصمتُ صارَ مزدحمًا،
كأنّهُ مكتبةٌ تُخفى كتبًا عن أصحابِها.
أمشي،
وفى كلِّ خطوةٍ يتدلّى من الهواءِ شيءٌ يشبهُ اسمى القديم،
ولا ألتفتُ كثيرًا،
لأنّ الالتفاتَ نوعٌ من الاعترافِ بأنّ ما خلفى ما زالَ قادرًا على مناداتي
فى لحظةٍ ما،
سأكونُ أقلَّ وضوحًا من فكرة لم تُفكّرْ،
وأكثرَ خِفةً من ظلٍّ قرّرَ أن يتخلّى عن صاحبهِ
وسأقولُ للريح:
خذى ما تبقّى منّي،
فإنّى تعبتُ من حملِ الاحتمالاتِ كأنّها أجسادٌ ثانية.

٢

مسافة لا تُرى
هناك، بين إصبعين من فراغ، تُعيدُ يدى كتابةَ اسمكِ كلّما ظنّتْ أنها محته،
فتنبتُ الحروفُ كأنها جراحٌ تعرفُ طريقَها إلى اللحمِ دونَ استئذان
وضعتُ على كفّى معنى الانتظار، فصارَ جلدى مرآةً لطقس قديم،
تتقدّمُ فيه الذكرى مرتديةً هيئةَ جسد لا يكتمل،
وتنسحبُ كأنها كانتْ تنتمى إلى غيمٍ أخطأ الأرضَ فى لحظة سقوطه الأولى
كنتِ تمرّين فى داخلى كما تمُر الريحُ فى بيتٍ بلا نوافذَ،
لا تُمسِكُ الجهات، ومع ذلكَ تُحرّكين كلّ ما هو ثابتٌ فيّ،
فتتكسّرُ الطمأنينةُ على أعتاب صوتك،
وأبقى أعدُّ ارتباكى كمن يعدُّ نبضًا لا يطمئنُّ إلى سببه
كم مرّةً ظننتُكِ جسدًا، ثم انحللتِ فيّ كفكرةٍ لا تُمسك؟
وكم مرّةً ظننتُك فكرةً، ثم نزفتِ فى عروقى كدمٍ يعرفُ طريقهُ إلى اسمه؟
حتى اختلطَ الأمرُ على قلبي:
هل كنت احتمالًا يُخطئُ التحقّق،
أم كنتَ تحقّقًا يُتقنُ التنكّر؟
فى الليل، حين تُطفأُ الجهاتُ،
أسمعُ خَطواتك على جلد الوقت،
تترك أثرًا يشبهُ النارَ وهى تتعلّمُ أن تكونَ ماءً،
ويشبهُ الماءَ وهو يتذكّرُ أنه كانَ نارًا.
أقولُ لنفسي: هذا مجرّدُ غياب
ثم أكتشفُ أن الغيابَ كائنٌ كاملُ الملامح،
يجلسُ إلى جواري، ويضعُ يدهُ على كتفى كأنّهُ يعرفنى منذُ بدءِ الخسارات
لو كنتِ وهمًا، فلماذا يُخطئُ قلبى فى اتجاهاتهِ كلما ناديتُك؟
ولوَ كنتِ يقينًا، فلماذا تتفتّتُ صورتُكِ كلما اقتربتُ منها؟
كأنك بين الحالتينِ كائنٌ لا يُقيمُ فى تعريف،
كأنكِ ترفضين أن تُختزلى فى اسم أو جسد أو معنى
ثم أراكِ مرةً أخرى فى انكسار الضوء على نافذتي،
فى ارتجافة الماء وهو يحاولُ أن يتذكّرَ شكلهُ الأول،
فى رعشةِ الهواءِ حين يمرُّ كأنّهُ يعبرُ جسدًا كانَ لهُ يومًا
وأدركُ أنى لم أكن أبحثُ عنك،
كنتُ أبحثُ عن ذلكَ الفراغِ الذى تركتهُ فيّ،
عن تلكِ الفجوة التى تتقنُ التنفّسَ باسمي،
عن ذلكَ الصمتَ الذى يتكاثرُ كلما حاولتُ أن أنساه.
فى النهاية، لا يبقى منكِ سوى أثرٍ يشبهُ الدفءَ وهو يتذكّرُ بردهُ،
وشيءٍ يشبهُ الدمعةَ حين تترددُ بين أن تكونَ ماءً أو ذاكرة
وأنا
أبقى بين احتمالينِ لا يلتقيان:
أنك لم تكوني،
وأنكِ كنتِ أكثرَ مما تحتملهُ الحياة.

٣

الاحتمال الثالث
لم تكن يدى تبحث عن ملامسة، إنما عن أثرٍ ينجو من معنى اللمس
شيءٌ يشبه ارتجاف الضوء حين ينسى مصدره
أمدُّ أصابعى إلى فراغ يتقن التنكّر فى هيئة جسد
كلما اقتربتُ، ازداد الهَواء كثافةً، كأنه يتذكّر
سكونكِ يجرح الحركة فى داخلي؛ سكون فكرةٍ اكتملت فجَأة
كمن يُترك فى منتصف حلم، بلا يقظة ولا اكتمال
فى الغرفة، لا تُسمّى الأشياء بأسمائها
الكرسى ينسى وظيفته، والنافذة تتصرف كعينٍ بلا جهة
والضوء يتكاثر على الجدران كأنه يبحث عن مخرج
أراكِ كفكرةٍ خرجت من رأس اللغة ولم تعد تقبل العودة
حين مررتُ بك، لم يكن هناك اصطدام
كان ذوبانًا بطيئًا، كأننى أتنازل عن طبقة خفية منّي
المسافة لم تعد تقاوم؛ تتقلّص حتى تصيرَ جسدًا ثالثًا بيننا
صوتك لا يُسمع كصوت
يسقطَ على الذاكرة بدل الأرض، مثل مطرٍ ينسى اتجاهه
كل محاولة لتفسيره كانت تُوسّع فجوةً داخلي
أحببتُ فيكِ ذلك الالتباس الذى لا يطلب نجاة
هدوءًا يربكَ الطمأنينة نفسها
لم نكن اثنين
ولا واحدًا
كنا احتمالاً ثالثًا يتعثر فى أول تسمية
الهواء بيننا كائنٌ مستقل، يراقب دون أن يتدخل،
ويكتب فوق الجلد علامات لا تُقرأ، إنما تُحسّ
لم أعد أميّز بين الاقترابً والابتعاد؛
كلاهما حركة واحدة حين تفقد الجهة معناها
رأيتك خارج الجسد،
ثم الجَسد الوحيد الممكن،
ثم فكرة تتعلّم أن تكون إنسانًا ولا تنجح
لم نكن نحب، ولا نبتعد، ولا نسمّى ما يحدث
كنا نُبقى الفراغ حيًّا، نطعمه من ارتباكنا
فى النهاية، لم ينكسر شيء
الأشياء العميقة لا تتكسر؛ تتبدّل كثافتها فقط
غادرتُك دون مغادرة
تركتُك كضوء نُسى فى غرفة
أثرٌ كامل منٍ عدم اليقين.

زهرة ياسمين

قصة قصيرة بقلم:
د. محمد مصطفى الخياط

فتحت عاملة الفندق باب الجناح، فانفسح عن صالون مذهب أنيق وشاشة تلفاز تتوسط المنضدة المقابلة، وعن يمينها زهرية رُشقت فيها زهرة ياسمين تنضح بعطر فواح، خطا وراءها على الأرضية الخشبية (الباركيه) ترافقه صدى خطواته كصديق حميم، فيما كانت خطوات حذائها المطاطى بلا صوت، وكذلك كان يخرج صوتها منخفضًا كأنما هى طيف، فى تطبيق مثالى لما تعلمته من أصول الفندقة؛ أن يشعر النزيل أنه كل شيء وأنه بؤرة الاهتمام.

أضاءت المصابيح الكهربائية، وأزاحت الستائر، فوقف خلف الباب الزجاجى وراح يجول بعينيه فى براح البحر الممتد بلا نهاية، تركت له العاملة مفتاح الغرفة وانصرفت، وعندما دسّ يده فى جيبه ونفحها بعض المال، رفعت عينيها إليه للحظة خاطفة، فرأى فيهما بريق امتنان حقيقى لم يره فى عيون كثيرين ممن أعطاهم أضعاف ذلك، تمتمت شاكرة ومضت، وبقى هو واقفًا يتساءل أيهما أفقر.

أشعل غليونه ومسح الغرفة بعينين منقوعتين فى بحيرتى دموع تتابع الصور الحزينة على سطحها واحدة تلو أخرى، ثم تنهد وجلس يرشف من فنجان القهوة الفرنسية رشفات من يتذوق ويقارن ليتأكد من مستوى الجودة، لكنه سرعان ما نهض وعاد يتأمل البحر وأمواجه المتلاطمة من خلف زجاج نظارته بعينين محمرتين من أثر السهر، ومتغضنتين بفعل العمر الذى انزلق خلفه فى خفة قط رشيق، يتقن فنون الاختباء حتى تظنه سرابًا، والانقضاض حتى تشعر بوخز مخالبه، كأنه قدر لا يزول.

عبر إلى الشرفة الصغيرة وجلس يكمل قهوته مطلقًا لعينيه عنان التجول بين رواد البحر بأعمارهم ومشاربهم وملابسهم المختلفة، والتى لو وقعت عليها عين متخصص فى علم الاجتماع لأنبأ عنهم أيما نبأ.

فتلك أسرة بسيطة الحال، وضعت متاعها على سور الكورنيش وراحوا يلتقطون الصور، فُرادى وجماعات، وهؤلاء شباب بقصات شعر وملابس تقسم أنهم والعلم فى عداء، وإن كان ولابد فلعلها شهادة إعدادية أو دبلوم سلبه بعضهم بشق الأنفس، يتجاذبون ويستعرضون فتوتهم دون اهتمام بالزحام من حولهم، والزحام عنهم متشاغل.

وتلك فتاة رقيقة تتأبط ذراع فتى مفتول العضلات، التفت نحو الفندق فجأة وراح يرسم بذراعه صورة حالمة فى الهواء، والفتاة تُحرك ذراعيها كأنما تطير، ثم طوّقها بذراعه ومضيا.

"ربما كانا يحلمان بالإقامة فى الفندق، وربما هذه الغرفة على وجه الخصوص"، قال لنفسه وعلى شفتيه نصف ابتسامة مرّة، ثم أردف بصوت لم يكد يسمعه هو نفسه: "يا حظهم.. لو يعلمان".

هز رأسه فى أسى وأعاد إشعال غليونه الذى انطفأ بانشغاله عنه، ونفث نفثات متتابعات سرعان ما اختطفتها الريح بعيداً، كأنها تسخر من كل ما يحاول الإمساك به.

ثم أفل راجعًا إلى الغرفة دون أن يغلق باب الشرفة، تاركًا الريح تمرح خلف الذكريات. تناول معطفه الثقيل وخرج، وقد صفق الباب خلفه فردّد السكون صداه القوى فى أرجاء الجناح الخالي. وحدها زهرة الياسمين بقيت تنضح بعطرها فى المكان، يتيمة إلى جوار التلفاز، تنتظر.

mohamed.elkhayat@yahoo.com

ساطع نور الدين يستشرف مستقبل العلاقة بين لبنان وسوريا فى كتاب جديد

ساطع نور الدين

صدر حديثًا عن دار دار نوفل / هاشيت أنطوان كتاب جديد بعنوان "لبنان وسوريا: تخوم الجغرافيا وصدوع السياسة" للكاتب السياسى اللبنانى ساطع نور الدين، فى عمل يسعى إلى مقاربة مستقبل العلاقة بين البلدين بعيدًا عن السرديات التاريخية التقليدية.

ويقع الكتاب فى ١١٢ صفحة، ويبتعد فيه نور الدين عن المراجعات التاريخية المعتادة للعلاقات اللبنانية – السورية، متجهًا نحو استشراف ما قد تحمله المرحلة المقبلة من تصدعات سياسية وأمنية محتملة بين البلدين الجارين. ويطرح المؤلف جملة أفكار ومقاربات يراها ضرورية لتفادى تلك التوترات، داعيًا إلى مصالحة تاريخية قائمة على قراءة دقيقة ومتأنية للمصالح المشتركة، وعلى تجاوز إرث الماضى القريب والبعيد.

وفى توصيفه لمشروع الكتاب، يقدّم نور الدين عمله بوصفه "رحلة نحو المستقبل، لا عودة إلى التاريخ"، فى محاولة لتحفيز المخيلة السياسية وفتح نقاش مؤجل حول طبيعة العلاقة بين لبنان وسوريا، البلدين اللذين "فرّقتهما الأقدار ولن توحدهما المصالح إلا إذا قُرئت بدقة ورويّة، وبُنيت على الحاجة الملحّة إلى تجاوز تجارب الماضي".

وبحسب نبذة الناشر، يمثّل الكتاب افتراقًا صريحًا عن القراءات التاريخية للعلاقة بين البلدين، إذ يرسم مسارًا للتفكير فى ما هو آت، لا سيما فى ظل احتمالات استدعاءً الموروث الأسدى – البعثى وما قد يرافقه من ارتدادات سياسية وأمنية. ويأمل الكاتب فى تبلور نموذج سورى مختلف قادر على التعايش مع النموذج اللبنانى المأزوم، بما يؤسس لمساءلة مشتركة عن "الخطايا المتبادلة" بين الطرفين.

كما يتوقف الكتاب عند رهانه على أن الحكّام الجدد فى دمشق لن يستنسخوا تجربة حركة طالبان فى أفغانستان، بل سيعملون على بناء تجربة إسلامية خاصة بهم، ما يفتح الباب أمام طرح سؤال شروط المصالحة التاريخية المنشودة منذ لحظة الانفصال – الاستقلال.

وتنطلق القراءة الاستكشافية فى الكتاب من خصوصية الجغرافيا بين البلدين، إذ يرى المؤلف أن ما يجمع الشعبين ليس حدودًا دولية مرسومة بقدر ما هى "معابر غير شرعية" تفرضها الطبيعة وتفرّقها السياسة.

يُذكر أن ساطع نور الدين صحافى لبنانى مخضرم، راكم خبرة تزيد على ٤٥ عامًا فى العمل الصحافى السياسى والثقافي، منذ عمله محررًا فى جريدة السفير وصولاً إلى توليه إدارة تحريرها بين عامى ١٩٩٠ و٢٠١١. ويُعد هذا الكتاب الثالث له، بعد كتابين صدرا فى تسعينيات القرن الماضى وحملا اسم زاويته اليومية الشهيرة فى «السفير»: «محطة أخيرة» و«محطة أخيرة خارج المكان».

كتب – عبدالكريم الحجراوي

رامز جلال واللعب بالنار فى وعي المصريين

رامز جلال في ليفل الوحش

كل رمضان، تتكرر المشاهد نفسها: ضجيج يملأ الشاشات، وجدال يسيطر على مواقع التواصل، وأسماء تعرف جيدًا كيف تُثير الانتباه. في المقدمة، يظهر رامز جلال بصراخه وابتساماته التي تتحوّل إلى فزع.

لنكن صريحين: ما يقدمه رامز جلال في برنامج «رامز ليفل الوحش» ليس مجرد ترفيه بريء. البرنامج يقوم على إخافة الضيف، ودفعه إلى لحظة رعب حقيقية تُستثمر تجاريًا أمام ملايين المشاهدين. الضحك هنا لا ينبع من نكتة ذكية أو موقف طريف، بل من فزع شخص يُفاجأ بخطر يظنه حقيقيًا.

السؤال هنا: هل أصبح ترويع الناس مقبولاً للتسلية، فقط لأنه يُعرض في برنامج رمضاني؟

المفارقة أن شهر رمضان، المفترض أن يكون موسمًا للسكينة والتأمل، يتحوّل إلى موسم لرفع الأدرينالين بالصراخ والتهديد والإهانة المُقنّعة بالكوميديا. تحويل الخوف إلى منتج سنوي ناجح يكشف أزمة أعمق في صناعة الترفيه، حيث تُقدّم الإثارة على القيمة، ونسبة المشاهدة على الكرامة.

اللافت أن المشكلة تتعلق باللعب في وعي المصريين، والوقوف على حافة الاستفزاز. رامز يستفز مشاعر الخوف، ويدرك أن الجدل يساوي انتشارًا، وأن الاستقطاب يضمن البقاء في دائرة الضوء. كل لقطة مصممة لإثارة رد فعل فوري، وكل صرخة للضيف تتحوّل إلى رقم مشاهدة جديد. الجمهور، عن غير قصد، يصبح شريكًا في العرض، يصغي ويضحك، ويشارك في دورة الخوف والضحك التي تنتجها الشاشة.

لكن الإعلام ليس ساحة ألعاب نارية. الكلمة قد تهز القناعات، والصورة قد تكرّس السلوك. حين يعتاد الجمهور الضحك على الرعب، أو التصفيق للطرح المستفز لمجرد أنه جريء، فإننا نعيد تشكيل الذوق العام نحو مزيد من القسوة والانقسام. المعيار لم يعد الإبداع أو الموهبة، بل الجرأة على استفزاز المشاعر الإنسانية وتحويلها إلى مادة قابلة للبيع.

الطرح الصريح يقتضي الاعتراف بأن جزءًا من الأزمة لا يقع على صانع المحتوى وحده، بل على صناعة كاملة تكافئ الأكثر إثارة لا الأكثر عمقًا. ومع ذلك، تبقى المسؤولية الأخلاقية فردية. من يختار مخاطبة ملايين الناس في رمضان، لا يمكنه الادعاء بأن الأمر مجرد عرض عابر.

ليست القضية ترفيها مقابل جدية، بل ببساطة: ما الحد الفاصل بين الجرأة والانفلات؟ بين الكوميديا والإهانة؟ متى تتحوّل الابتسامة إلى صرخة، والضحكة إلى قسوة؟

الإعلام قوة ناعمة، لكنه قد يتحول إلى قوة جارفة إذا غابت المعايير. الكلمة مثل النار: قد تنير الطريق، وقد تحرقه بالكامل. رامز والبرامج المشابهة تمثل تجربة خطرًا في وعي المصريين، حيث تصبح التسلية مأخوذة من رعب الآخرين، ومكانتها على الشاشة مرتبطة بمدى الانفعال الذي تستطيع إثارته. وهنا يظل السؤال الأخلاقي قائمًا: هل يستحق المشاهد أن يكون ضحية اللعب بالنار كل عام، في شهر يُفترض أن يكون للسكينة، والصيام بالنهار، والقيام بالليل، وسماع وقراءة آيات الذكر الحكيم؟

بقلم: إبراهيم خالد